مقامع الشيطان

في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة

تأليف: سليم الهلالي

مكتبة ابن الجوزي

مقامع الشيطان

في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة

تأليف
سليم الهلالي

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

إن الحمـدَ لله، نحمـدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئات أعْمالِنا، مَن يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله.

أمَّا بعد:

فإن المعركة مع إبليس ـ لعنه الله ـ وحزبه، هي المعركة الرئيسة مذ أصر عدو الله على ملاحقة آدم وذريته في كل حالٍ، وفي كل وقت، وعلى إتيانـه من كل جهـة، ومن كل صوب، وعلى اتباعه كل لحظة وساعة؛ كما أخبر عنه رب العالمين تبارك وتعالى:

﴿قالَ أَنْظِرْني إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قالَ إنَّكَ مِنَ المُنْظَرينَ . قالَ فَبِمـا أَغْـوَيْتَنِي لأَقْعُـدَنَّ لَهُم صِراطَكَ المُسْتَقيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بينِ أَيْدِيهِم ومِن خَلْفِهِم وعَنْ أَيمـانِهِم وعَن شَمـائِلِهِم ولا تَجِـدُ أكثَـرَهُم شاكِرينَ﴾ [الأعراف: ١٤ ـ ١٧].

وقال:

﴿لَعنَهُ الله وقالَ لأتَّخِذَنَّ مِن عِبادِكَ نَصِيباً مَفْروضاً . ولأُضِلَّنَّهُم

ولأمَنِّيَنَّهُم ولآمُرَنَّهُم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأنْعامِ ولآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله ومَن يَتَّخِذِ الشيطانَ وليّاً مِن دونِ الله فقدْ خَسِرَ خُسْراناً مبيناً﴾ [النساء: ١١٨ ـ ١١٩].

وقال:

﴿قالَ ربِّ فانْظِرْني إلى يومِ يُبْعَثونَ . قالَ فإنَّكَ مِن المُنْظَرينَ . إلى يومِ الوقتِ المَعْلومِ . قالَ ربِّ فبما أَغْوَيْتَني لأزِيِّنَنَّ لهم في الأرضِ ولأغْوِيَنَّهم أجمعينَ﴾ [الحجر: ٣٦ ـ ٣٩].

وهناك آيات دالة أخرى.

لقد أعلنها الشيطان حرباً ضَروساً، تنبثق من خَليقة الشر فيه، ومن كبريائه وحقده على الإنسان، وأنه استصدر بها من الله إذناً، فأذن ـ سبحانه ـ لحكمةٍ يراها، فانطلق الشيطان ينفذ وعيده، ويستذل عبيده.

ولم يترك الله ـ سبحانه ـ الإنسان مجرداً من العدة، فقد جعل له من الإيمان جُنة، ومن الذكر عدة، ومن الاستعاذة سلاحاً، وكشف له عن خطط الشيطان وأساليبه، فإذا أغفل الإنسان جُنته وسلاحه، وقصّر عن معرفة مكائد عدوه ومصائده، فالدولة لعدوه عليه ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ فإذا أذن العبد لعدوه، وفتح له باب بيته، وأدخله عليه، ومكّنه من السلاح يقاتله به، فهو وحده الملوم، ولا يلومن إلا نفسه.

ولله در القائل:

ومُــت كَمَــداً فليسَ لَكَ اعـتِــذارُ

ولقد استخرت الله ـ سبحانه ـ في جمع العُدَد الشرعية التي تقهر الشيطان وحزبه، فكانت هذه الرسالة ـ التي بينت التحذير الرباني من التخـذير الشيطاني ـ الموسـومـة بـ «مقامع الشيطان في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة الصَّحيحة».

وإني لأسأل الله ـ عز وجل ـ أن تكون عاصماً للمؤمنين من كيد الشيطان، وتلبيس إبليس.

وأرجو من أخ غيور إذا وجد وهناً فيها أو خللاً، أن ينصح لي، فإن الله جعل النصح قُرْبة لمن خلصت نيته، وصفت سريرته وطويته.

وعلى الله قصد السبيل.

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

ضحى الاثنين لثلاث ليالٍ خلت من شعبان

سنة ألف وأربعمائة وثمان من هجرة رسول الله ﷺ

في عمَّان البلقاء عاصمة الأردن

□□□

* الفصل الأول:

معرفة خطوات الشيطان(1)

« إن هذا العدو القديم لبني آدم، وهو يزاول كيده ومكره، قرر أن يخوض المعركة على المدى الطويل، وبمراحل منتظمة، يفضي بعضها إلى بعض، فهو يمارس مع الإنسان سياسة الخطوة خطوة.

قال تعالى:

﴿ولا تَتَّبِعوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إنَّهُ لكُم عدُوٌّ مُبينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨ و ٢٠٨، الأنعام: ١٤٢].

ودونك بيان هذه الخطوات:

(١ ـ ١) النسيان:

إن الشيطان يقتحم النفس البشرية في لحظة غفلة وضعف.

قال تعالى:

---

(١) ننصح للقراء أن يطالعوا «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ـ رحمه الله، و «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» لابن قيم الجوزية ـ رحمه الله، فإنهما نفيسان في هذا الباب، والذي يليه.

﴿وإمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فلا تَقْعُدْ بعدَ الذِّكْرى معَ القَوْمِ الظَّالِمينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

لكنه في هذه الخطوة يمرُّ بها سريعاً يمسها مساً، ويتلمسها، ليتمكن من مداخلها، فإن تذكرتَ وعادت خَنَس، ولكنه لن يتركها، ولذلك فليأخذ الإنسان حذره.

(٢ ـ ١) الاستدراج:

قال تعالى:

﴿إنَّ الذينَ تَوَلَّوْا منكُم يومَ التَقَى الجَمْعَانِ إنَّما اسْتَزَلَّهُم الشَّيْطانُ ببعْضِ ما كَسَبوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

إن الرماة الذين أمرهم الرسول ﷺ بالبقاء على الجبل في معركة أحد، عندما انجلت المعركة ونسوا قول النبي ﷺ استدرجهم الشيطان إلى ترك مواقعهم.

إن هذه الآية وهي تصف ما يدور في نفس الرماة، تصور في عمومها حالة النفس البشرية حين ترتكب الخطيئة؛ فتفقد ثقتها في قوتها، ويضعف ارتباطها بالله، ويختل توازنها وتماسكها، فتصبح عرضة للوساوس، بسبب تخلخل صلتها بالله، وثقتها من عفوه ورضاه، عندئذٍ يجد الشيطان طريقه إلى هذه النفس، فيقودها إلى الزلة بعد الزلة، وهي بعيدة عن الحمى الآمن، والركن الشديد.

(٣ ـ ١) الوسوسة:

قال تعالى:

﴿ولقدْ عَهِدْنا إلى آدمَ مِن قبلُ فنَسِيَ ولم نجدْ لهُ عزْماً . وإذْ قُلْنا للملائكَةِ اسْجُدُوا لآدمَ فسَجَدوا إلا إبليسَ أبى فقُلْنا يا آدمُ إنَّ هٰذا عدوٌّ لك ولزَوْجِك فلا يُخْرِجَنَّكُما مِن الجنّةِ فتَشْقَى . إنَّ لكَ ألا تَجوعَ فيها ولا تَعْرى . وأنَّكَ لا تظمأُ فيها ولا تَضْحَى . فوسْوَسَ لهُ الشيطانُ قالَ يا آدمُ هَلْ أَدُلُّكَ على شجَرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [طه : ١١٥ ـ ١٢٠].

هكذا يعرض القرآن قصة آدم مع الشيطان، لقد نسي آدم، ولم يجد الله له عزماً، لقد تبع النسيانَ هبوطٌ في العزيمة، وضعف الصلة بالله، فلمس الشيطان الموضع الحساس في نفس آدم، فبدأ يوسوس له، أو كما يقولون: يعزف له على الوتر الحساس.

ووسوسة الشيطان للإنسان تأخذ عدة أشكال، منها:

أ ـ التزيين:

ففي قصة آدم أخذ الشيطان يزين له المعصية:

﴿قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى﴾ [طه : ١٢٠].

﴿وقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَن هٰذه الشجَرةِ إلا أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أو تَكُونا مِن الخَالِدينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

إن العمر البشري محدود، والقوة البشرية محدودة، ولذلك فالإنسان يتطلع إلى الحياة الطويلة، والملك الطويل، ومن هاتين النافذتين دخل الشيطان إلى نفس الإنسان، فزَيَّنَ له المعصية.

وفي معركة بدر زَيَّن الشيطان للمشركين أعمالهم:

﴿ولا تَكُونوا كالذينَ خَرَجوا مِن ديارِهم بَطَراً ورِئاءَ الناسِ ويَصُدُّون عن سبيلِ الله والله بِما يَعْمَلونَ مُحيطٌ . وإذْ زَيَّنَ لَهُم الشَّيطانُ أعمالَهُم وقالَ لا غالبَ لكُم اليومَ مِن الناسِ وإنِّي جارٌ لكُم فلمّا تراءتْ الفِئَتانِ نَكَصَ على عقِبَيْهِ وقالَ إنِّي بريءٌ منكُم إنِّي أرى ما لا تَرَوْنَ إنِّي أخافُ الله والله شَديدُ العقابِ﴾ [الأنفال: ٤٧ ـ ٤٨].

والتزيين الشيطاني يحمل في ثناياه الوعد الكاذب والأمنيات اللامعة، لقد وعد آدم بالخلد والملك، ووعد المشركين بالنصر.

﴿يَعِدُهُم ويُمَنِّيهِم وما يَعِدُهُم الشَّيْطانُ إلَّا غُروراً﴾ [النساء: ١٢٠].

والتزيين الشيطاني مخدر، لأنه مغطى بستار من النصح والشفقة والحب، لقد أقسم لآدم وزوجه أنه ناصح أمين.

﴿وقاسَمَهُمَا إنِّي لَكُما مِن النَّاصِحينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

وهذه سنة شيطانية، يتبعها إبليس وجنده مع بني آدم على مر العصور.

فلقد مارسها مع عاد وثمود:

﴿وعاداً وثَمودَ وقدْ تَبَيَّنَ لكُم مِن مساكِنِهم وزَيَّنَ لهُمُ الشيطانُ أعمالَهُم فصَدَّهُم عنِ السَّبيلِ وكانُوا مُسْتَبْصِرينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

ولعبها مع سبأ وملكتهم:

﴿وجَدْتُها وقومَها يَسْجُدونَ للشَّمْسِ مِن دونِ الله وزَيَّنَ لهُم

الشَّيطانُ أعمالَهُم فصَدَّهُم عنِ السَّبيلِ فهُم لا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

وطبقها على قريش في غزوة بدر كما ذكرنا آنفاً.

وهذه سيرته مع كل الأمم، وفي كل العصور:

﴿تالله لَقَدْ أرْسَلْنا إلى أُمَمٍ مِن قبلِكَ فزَيَّنَ لهُم الشَّيطانُ أعمالَهُم فهُو وليُّهُم ولهُم عذابٌ أليمٌ﴾ [النحل: ٦٣].

﴿قـالَ ربِّ بمـا أَغْـوَيْتَني لأزَيِّنَنَّ لهُم في الأرضِ ولأغْـوِيَنَّهُم أجمَعينَ . إلا عبادَكَ منهُم المُخْلَصينَ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤١].

وبذلك حدّد إبليس ساحة المعركة أنها الأرض، وحدد عدته أنه التزيين: تزيين القبيح، والإغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه.

وهكذا لا يجترح الإنسان شراً، ولا يقترف معصية، إلا وعليه من الشيطان مسحة تزيّنه، وتجمّله، وتـظهـره على غير حقيقته ورداءته، فليحـذر الناس كلما وجدوا في أمر تزييناً، وكلما وجدوا في نفوسهم اشتهاءً، فقد يكون الشيطان هناك.

ومن هنا ندرك التوجيه النبوي الكريم في تربية الناحية الجنسية لدى المسلم، عندما يرى امرأة تعجبه.

عن أبي كبشة الأنمازي قال:

كان رسول الله ﷺ في أصحابه، فدخل، ثم خرج وقد اغتسل فقلنا: يا رسول الله: قد كان شيء؟

قال: «أجل، مرَّت بي فلانة، فوقع في قلبي شهوة النساء، فأتيت بعض أزواجي، فأصبتها، فكذلك فافعلوا، فإنه من أمثل أعمالكم إتيان الحلال»[٢].

وذلك أن النساء حبائل الشيطان، فربما زين الشيطان للإنسان فعل المعصية، فلا بد من قمع الشيطان، ودحر كيده، وهذا مما جاءت به السنة صريحاً، فقد قال ﷺ:

«إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأتِ أهلَه، فإن ذلك يردُّ ما في نفسه»[٣].

وكذلك كشفت السنة الحقيقة التي يحاول طمسها الشيطان، مزيناً للإنسان فعل الحرام، حيث صرح على لسان بعض الشعراء الغاوين:

وإنْ قَالــوا حَرامٌ قُلْ حرامٌ
ولٰـكِــنَّ الــلذاذَةَ في الــحَــرَامِ

قال ﷺ:

«أيمــا رجل رأى امرأة تعجبه، فليقم إلى أهله، فإن معها مثل

---

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٢٣١)، وغيره.
قلت: وسنده حسن.

(٣) أخرجه مسلم، وأبو داود (٢١٥١)، والبيهقي (٧ / ٩٠)، وأحمد (٣ / ٣٣٠، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٩٥) من طرق عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً.
قلت: وإسناده صحيح، وقد صرح أبو الزبير بالتحديث.

الذي معها»[٤].

ب ـ التخويف :

إن بعض النفوس لا يجتالها التزيين الشيطاني، فعندئذٍ يبدأ معها الشيطان نوعاً جديداً، وهو التخويف، والتهويل، والتشويش.

قال تعالى :

﴿إنَّما ذٰلِكُم الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أولِياءَهُ فلا تَخافُوهُم وخافُونِ إنْ كُنْتُم مُؤمِنينَ﴾ [آل عمران : ١٧٥].

وهكذا يتم الكشف عن علة الخوف والفزع والجزع... إنه الشيطان، يحاول أن يجعل أولياءه مصدر رعب، وأن يخلع عليهم القوة والهيبة.

إن الشيطان وهو يضخم أولياءه، ويلبسهمَ لباس الحول والطول، إنما يريد أن يقضي بهم غاياته وأغراضه، لأن الشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل، ويعربد، ويبدو قوياً قادراً قاهراً جباراً.. فتحت شعار الخوف والرهبة، يفعل أولياؤه في الأرض الأفاعيل التي تقر لها عين الشيطان؛ فيقلبون المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وينشرون الفساد في البلاد والعباد.

والشيطان ماكر خادع، يختفي وراء أوليائه، ومن هنا يكشف الله كيده، ويوقفه أمام المؤمنين المخلصين عارياً لا يستره ثوب من مكر أو خداع أو كيد.

---

(٤) أخرجه الدارمي (٢ / ١٤٦)، وغيره، وهو ثابت بما قبله.

(٤ ـ ١) التسويف:

قال تعالى:

﴿إنَّ الذينَ ارْتَدُّوا على أدْبارِهِم مِن بعدِ ما تَبَيَّنَ لهُم الهُدَى الشيطانُ سَوَّلَ لهُم وأمْلى لهُم﴾ [محمد ٢٥].

(٥ ـ ١) الأمر بالمعصية:

قال سبحانه:

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تَتَّبِعوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ فإنَّهُ يأمُرُ بالفَحْشاءِ والمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

(٦ ـ ١) الأزُّ:

قال تعالى:

﴿ألَمْ تَرَ أنَّا أرسَلْنا الشياطينَ على الكافرينَ تَؤزُّهُم أزّاً﴾ [مريم: ٨٣].

إذا تمكن الشياطين من قلب الإنسان، فإنها تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً، وتسوقهم إلى الرذيلة هائجين، فهي تحركهم بإلهاب، فإذا رأيتهم حسبتهم ذئاباً مفترسة، أو كلاباً مسعورة، كلما انتهت من المعصية عادت إليها، فهي لم تشبع من الإثم والعدوان، وهذه بداية العذاب الأصغر والذي يفضي إلى العذاب الأكبر، ونهاية اللّذة المنقطعة التي زينها الشيطان لأوليائه.

(٧ ـ ١) الحيرة:

قال تعالى:

﴿قُلْ أَنَدْعو مِن دونِ الله مَا لا يَنْفَعُنا ولا يضُرُّنا ونُرَدُّ على أعقابِنا بعدَ إذْ هَدانا الله كالذي اسْتَهْوَتْهُ الشياطينُ في الأرض حيرانَ لَهُ أصْحابٌ يدْعونَهُ إلى الهُدى ائْتِنا قُلْ إنَّ هُدى الله هو الهُدى وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العالمينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

هكذا تفضي خطوات الشيطان بالإنسان إلى الحيرة، والتأرجح، والقلق... إنه العذاب النفسي، الذي تعيشه البشرية اليوم، لابتعادها عن منهج الله، فاستهوتها الشياطين، وتركتها في فلاة مجدبة، بعدما تخيلت السراب ماء.

(٨ ـ ١) التبرؤُ والشماتة:

قال تعالى:

﴿وقالَ الشَّيْطانُ لما قُضِيَ الأمرُ إنَّ الله وعدَكُم وعدَ الحقِّ ووعَدْتُكم فأخلَفْتُكم وما كانَ لي عليكُم مِن سلطانٍ إلا أنْ دعوتُكُم فاسْتَجَبْتُم لي فلا تلوموني ولوموا أنفُسَكُم ما أنا بمُصْرِخِكُم وما أنتم بمُصْرِخِيَّ إنّي كفَرْتُ بما أشْرَكْتُمونِ مِن قبلُ إنَّ الظالمينَ لهُم عذابٌ أليمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

نرى الشيطان، هاتف الغواية، وحادي الضلالة، يومئذٍ يلبس مسوح الرهبان، ولكن بعد فوات الأوان.

إن الشيطان الذي وسوس في الصدور، وأغرى بالعصيان، وزين الكفر، وصدهم عن استماع الدعوة واتِّباع الداعي، هو الذي يطعن أولياءه هذه الطعنة، حيث لا يملكون ردَّها عليه.

ثم يَخِزُهم وخزة أخرى بتعييرهم بالاستجابة له، وليس له عليهم من سلطان، سوى أنهم تخلوا عن شخصياتهم، ونسوا ما بينهم وبين الشيطان من عداء قديم، فاستجابوا لدعوته الباطلة.

ثم يؤنبهم، ويدعوهم لتأنيب أنفسهم، ثم يخلي بهم، وينفض يده منهم، وهو الذي وعدهم ووسوس لهم، ومنَّاهم، وأملى لهم. أما الساعة، فما هو بملبيهم، بل يعلن التبرُّؤ منهم خاتماً به خطبته الشيطانية القاصمة، التي يصبها على رؤوس أوليائه، وأهل طاعته.

وهذا ديدن إبليس، ونهاية خطواته.

﴿كَمَثَلِ الشيطانِ إذْ قالَ للإنسانِ اكْفُرْ فلمَّا كَفَرَ قالَ إنِّي بريءٌ منكَ إنِّي أخافُ الله ربَّ العالمينَ﴾ [الحشر: ١٦].



* الفصل الثاني:

معرفة وسائل الشيطان

(١ ـ ٢) الجدال والقول على الله بغير علم:

قال تعالى: ﴿وإنَّ الشياطينَ لَيوحُونَ إلى أوليائِهِم لِيجادِلُوكُم﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال سبحانه:

﴿ومِن النـاسِ مَن يُجادِلُ في الله بغَيْرِ علمٍ ويَتَّبِعُ كُلَّ شَيطانٍ مَريدٍ﴾ [الحج: ٣].

وقال عز وجل:

﴿إنَّمـا يَأْمُـرُكُم بالسُّـوءِ والفَحْشـاءِ وأَنْ تَقـولـوا على الله ما لا تَعْلَمونَ﴾ [البقرة: ١٦٩).

وهذه المكيدة الشيطانية، والوسيلة الإبليسية، وقع فيها نفسه قبل كيده للأبوين آدم وحواء، ثم كاد بها ذريته وذرية آدم، فكان مشؤوماً على نفسه، وعلى ذريته، وأوليائه، وأهل طاعته من الجن والإنس.

فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم، كان امتثال أمره وطاعته

سعادته وفلاحه وعزه ونجاته، فسولت له نفسه الجاهلة الظالمة أن السجود لآدم غضاضة عليه، وهضماً لحقه، إذ يخضع ويقع ساجداً لمن خُلق من طين، وهو من نار السموم، والنار بزعمه أشرف من الطين، فالمخلوق منها خير من المخلوق منه، وخضوع الأفضل لمن هو دونه غضاضة عليه، وهضم لمنزلته.

فلما قام بنفسه هذا الهرس مقروناً بحسد آدم لـمَّا رأى ربه خصه بأنواع الكرامة، فعندئذٍ بلغ الكبر من عدو الله كل مبلغ، فعارض النص الرباني والأمر الإلٰهي بالمعقول ـ بزعمه ـ كما علَّم أولياءه من المبطلين.

وقال: ﴿أنا خَيْرٌ منهُ خَلَقْتَني مِن نارٍ وخَلَقْتَه مِن طينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

فأعرض عن النص الصريح، وقابله بالرأي الفاسد الكاسد القبيح، ثم أردف معترضاً على الحكيم العليم الذي لا تجد العقول إلى الاعتراض على حكمته سبيلاً؛ فقال: ﴿أرأَيْتَكَ هٰذا الذي كَرَّمْتَ عليَّ لئِنْ أخَّرْتَني إلى يومِ القِيامةِ لأحْتَنِكَنَّ ذرِّيتَهُ إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٦٢].

ومعنى الاعتراض الشيطاني: أخبرني لم كرمته علي؟ وغَوْر هذا الاعتراض: أن الذي فعلته ليس بحكمة ولا صواب، وأن الحكمة تقتضي أن يسجد هو لي، لأن المفضول يخضع للفاضل، فلم خالفت الحكمة؟!

واستدل بتفضيل نفسه بحجة داحضة، حيث قرر تفضيل مادته

وأصله على مادة آدم ـ عليه السلام ـ وأصله.

وقد تلقف هذه الحجة الإبليسية بَشارُ بنُ بُرد، فصاغها شعراً:

إبـــليسُ خَيْرٌ مِن أبــيكُــمْ آدمٍ
فتَــنَــبَّهُــوا يا مَعْشَــرَ الـفُـجَّــارِ
إبْــليسُ مِن نارٍ وآدمُ طِينَــةٌ
والــطِّينُ لا يَسْــمـــو سُمُــوَّ النَّــارِ

وذلك ليستدل على صحة عبادة قومه المجوس، الذين انتسب إليهم، فقال:

جَدِّي الــذي أسمــوا بِهِ كِســرَى وســاســانُ أبي
وقَــيصَــرٌ خالــي إذا عدَّدتُ يومــاً نَسَــبــي

ومن ثم قال:

الأرضُ مُظْلِمَــةٌ والنَّــارُ مُشْــرِقَــةٌ
والنَّــارُ مَعْــبــودَةٌ مُنْذُ كانــتِ النــارُ

هذا التفكير الشيطاني أورث صاحبه الامتناع عن السجود، ومعصية الرب المعبود، فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها، ووضعها من حيث أراد رفعتها، وأذلها من حيث أراد عزتها، وآلمها كل الألم من حيث أراد لذتها، ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظم أعدائه في مضرته، لم يبلغ منه ذلك المبلغ، ومن كان هذا غشه لنفسه، فكيف يقبل العاقل منه ويسمعه ويواليه؟!

ولما رأى إبليس ذلك، لم يسأل الإقالة، ولا ندم على الزلة،

ولكنه لقّن حجته لأوليائه من الجن والأنس، ليدحضوا الحق، كما أخبر الله عنهم:

﴿ويُجادِلُ الذينَ كَفَروا بالباطِلِ ليُدْحِضوا بهِ الحقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

وقال:

﴿وجَادَلوا بالباطِلِ ليُدْحِضوا بهِ الحقَّ﴾ [غافر: ٥].

ولكن هذه الحجة الإبليسية داحضة عند الله:

﴿والذينَ يُحاجُّونَ في اللهِ مِن بعدِ ما استُجِيبَ لهُ حُجَّتُهم داحِضَةٌ عندَ ربِّهم﴾ [الشورى: ١٦].

(٢ ـ ٢) التحريش بين المسلمين:

قال تعالى:

﴿وقُلْ لِعبادِي يقولُوا التي هِي أحسَنُ إنَّ الشَّيطانَ يَنْزَغُ بينَهُم إنَّ الشيطانَ كانَ للإنسانِ عدُوّاً مُبيناً﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى:

﴿إنَّما يُريدُ الشيطانُ أنْ يُوقِعَ بينَكُم العَداوةَ والبغضاءَ في الخَمرِ والمَيْسِرِ ويَصُدَّكُم عن ذِكْرِ اللهِ وعنِ الصلاةِ فهلْ أنتُم مُنْتَهونَ﴾ [المائدة: ٩١].

الشيطان ينزغ بين الأخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السَّيِّء يتلوها؛ فإذا جو الأُخوة والمودة والمحبة والوفاق مشحون بالخلاف،

مشـــوب بالجفـوة، ثم العـداء، والشيطان يتلمس السقـطات من فم الإنسان، والعثرات من لسانه؛ فيغري بها العداوة والبغضاء والشحناء بين المرء وأخيه.

والكلمة الطيبة تسد على الشيطان تلك الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حمى الأخوة آمناً من نزغاته وهمزاته ونفثاته.

وكذلك الشيطان يوقع العداوة والبغضاء بين الناس في الخمر والميسر:

فالخمـر تفقد الوعي، فتثير عرامة الدم واللحم، ومن ثم تهيج النزوات والشهوات التي تأزها الشياطين أزاً.

والميسر يترك في النفوس خسارات وأحقاد وثارات، لأن المقمور يحقد على قامره الذي استولى على ماله أمام عينيه، ويتربص به الدوائر.

إن هذه الأمـور تثير العداوة والبغضاء مهما جمعت من القرناء والأخـلاء في مجالات العربدة والانطلاق، والتي يخيل إلى كثير من المغفلين أنها ساعات أُنس وسعادة (!)

وقد حذَّر الرسول ﷺ من هذه المكيدة الشيطانية، فقال:

«إن الشيطان قد أيس أن يعبـده المصلون في جزيرة العـرب ولكن في التحريش بينهم»(٥).

---

(٥) أخرجه مسلم.

(٣ ـ ٢) التبذير:

قال جل ذكره:

﴿ولا تُبَـذِّرْ تَبْـذِيراً . إنَّ المُبَذِّرينَ كَانوا إِخْوانَ الشَّياطينِ وكانَ الشيطانُ لِرَبِّهِ كَفوراً﴾ [الإسراء: ٢٦ ـ ٢٧].

(٤ ـ ٢) تسمية الأشياء بغير أسمائها:

قال تعالى حكاية عنه:

﴿قالَ يا آدَمُ هلْ أدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ وملكٍ لا يَبْلى﴾ [طه: ١٢٠].

لقد سمى إبليس تلك الشجرة المحظورة شجرة الخلد، وهو غير اسمها.

ومنه ورَّث اللعين أتباعه تسمية الأمور المحرمة بغير أسمائها، تزييناً لها، وتسمية الأمور المشروعة بغير أسمائها تنفيراً منها.

فهم يسمون المحرمات بالأسماء التي تحبب النفوس إلى مسمياتها؛ فسموا الخمر أم الخبائث بأم الأفراح، ومشروبات روحية، وسموا الربا معاملة وفائدة، وسموا المكوس بالحقوق الوطنية، وسموا الكفر وجحد الصفات الإلٰهية تنزيهاً.

وهذا ما أخبر به رسول الله ﷺ محذراً الأمة الإسلامية من الوقوع في هذه المكيدة الشيطانية:

«لَيَسْتَحِلَّنَّ طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه (وفي رواية:

يسمونها بغير اسمها)»[٦].

(٥ ـ ٢) التعري وكشف العورات:

قال تعالى:

﴿يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُم الشيطانُ كما أخرج أبَوَيْكُم من الجنةِ ينزِعُ عنهُما لباسَهُما ليريَهُما سوآتِهما إنَّه يراكُم هو وقبيلُهُ مِن حيثُ لا تَرَوْنَهم إنَّا جَعَلْنا الشياطينَ أولياءَ للذينَ لا يؤمِنونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

هذا النص القرآني وقفة لفهم حقيقة المعركة التي بانت طلائعها بين إبليس والبشرية.

وهذا التحذير الرباني كشف لخطط الشيطان وأساليبه ومداخله بصورها العديدة، وأشكالها الكثيرة.

لقد أخرج الشيطان الأبوين آدم وحواء من الجنة، ونزع عنهما لباسهما، فكان مشهد العري الذي أوقعهما فيه عدوهما بسبب نسيانهما أمر ربهما، والاستماع إلى وسوسة الشيطان وتزيينه.

وهذا النداء الإلٰهي يصبح مفهوماً عندما ترى أن طابع الجاهلية ـ قديماً وحديثاً ـ العري والتكشف، وشعارها الإغواء والإغراء والفتنة،

---

(٦) أخرجه ابن ماجه (٣٣٨٥)، وأحمد (٤ / ٢٣٧ و ٥ / ٣١٨)، وغيرهما من حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه.

قلت: وهو حديث صحيح.

وله شواهد عن عائشة ـ رضي الله عنها، وأبي أمامة الباهلي، وابن عباس، وأبي مالك الأشعري، وغيرهم ـ رضي الله عنهم.

تنفيذاً لعمل الشيطان، وتطبيقاً لخطة إبليس.

(٦ ـ ٢) الغناء:

قال تعـالى:

﴿واسْتَفْـزِزْ مَن استطعْتَ منهُم بصوتِك وأَجْلِبْ عليهِم بخيلِكَ ورجِلِكَ وشارِكْهُم في الأموالِ والأولادِ وعِدْهُم وما يَعِدُهُم الشيطانُ إلا غُروراً﴾ [الإسراء: ٦٤].

اعلم أيها العبد الفار من سبل الشيطان، أن صوت الشيطان هو الغناء، ومزامير الشيطان هي المعازف وآلات الموسيقى، وقد احتال بها على خلق كثير.

قال العـلامـة الـربـاني شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في «إغاثة اللهفان» (١ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥):

«ومن مكايد عدو الله ومصايده، التي كاد بها من قلَّ نصيبه من العلم والعقـل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجـاب الكثيف عن الـرحمٰن، وهو رقية اللواط والزنى، وبه ينال العـاشق الفـاسق من معشـوقـه غاية المنى، كاد به الشيطانُ النفوسَ المبطلة، وحسّنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً[٧].

---

(٧) من هذه الشبهات المضلات ما احتج به بعض علماء السـوء من أن الغناء يروِّح =

فلو رأيتهم عند ذيَّاك السماع، وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط خُمارُه النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُمَيًّا الكؤوس، فلغير الله بل للشيطان قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفززهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وخز صدورهم وخزاً، وأزَّهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزّاً، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالدِّباب ترقص وسط الديار.

فيا رحمتا للسقوف والأرض من دَكِّ تلك الأقدام، ويا أسفا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعِباً، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكناً، ولا أزعج له قاطناً، ولا أثار فيه وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً، حتى إذا تُلِيَ عليه قرآن الشيطان، وولج مزموره سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من

= عن القلب، ويرهف الشعور، ويهز الوجدان، فتغدو عند السامع شفافية تنوِّر بصيرته، فيحلّق في ملكوت الله مسبحاً شاكراً حامداً. وقال:

«من لم يسمع الأشعار، معزوفة على الأوتار، حول ضفاف الأنهار، وتحت حفيف الأشجار، فهو جلف الطبع حمار».

قلبه، على عينيه فجَرَتْ، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت.

فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلاّ كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن؟ وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السَّنِيَّات عند تلاوة السور والآيات؟

ولكن كل امرىء يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله. والجنسية علة الضم قدَراً وشرعاً، والمشاركة سبب الميل عقلاً وطبعاً. فمن أين هذا الإخاء والنسب لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب؟ ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللاً؟

﴿أفتَتَّخِذونَهُ وذُرِّيَّتَه أولياءَ من دوني وهُم لكُم عدُوّ بئْسَ للظالِمينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠]» أ. هـ.

(٧ - ٢) تغيير خلق الله:

قال تعالى:

﴿ولآمُرَنَّهم فلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله﴾ [النساء: ١١٩].



* الفصل الثالث:

الإخلاص

قال سبحانه وتعالى حكاية عن إبليس:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُم في الأرضِ ولأُغْوِيَنَّهم أجمعينَ . إلا عبادَكَ منهُم المُخْلَصينَ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠].

وقال جل ثناؤه حكاية عنه أيضاً:

﴿قالَ فبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُم أجْمَعينَ . إلا عِبادَكَ منهُم المُخْلَصينَ﴾ [صٓ: ٨٢ ـ ٨٣].

بهذا الوضوح تحدد منهج الشيطان، وتبين سبيله، إنه يقسم بعزة الله ليغوين جميع الآدميين لا يستثني إلا من ليس له غليهم سلطان، لا تطوعاً منه ومِنَّةً، ولكن عجزاً وتقصيراً عن بلوغ غايته فيهم، وإدراك حاجته منهم!

وبهذا يكشف اللعين عن الحاجز بينه وبين الناجين من غوايته وكيده ومصائده، والعاصم الذي يحول بينه وبينهم:

إنه الإخلاص الذي يخصلهم لله... هذا هو طوق النجاة، وحبل الحياة.

فلْيَفْطَن بنو آدم إلى عُدَّة الشيطان، فيعبدوا الله حق عبادته، فليس للشيطان بشرطه هو على عباد الله المخلصين من سبيل.

والله يستخلص لنفسه من عباده من يخلص نفسه لله، ويجردها له وحده، ويعبده كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإن الله يراه، هؤلاء ليس عليهم للشيطان من سبيل أو سلطان.

هذا الشرط الذي أقر به إبليس ـ لعنه الله ـ يدرك أن لا سبيل إلى سواه، لأنه سنة الله أن يستخلص لنفسه من يخلص له نفسه، فيرعاه، ويحميه... ومن ثم كان الجواب الإلهي العاصم القاصم:

﴿قالَ هٰذا صِراطٌ عليَّ مُستقيمٌ. إنَّ عبادِي ليسَ لكَ عليهِم سُلطانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِن الغاوينَ. وإنَّ جهَنَّم لموعِدُهم أجمَعينَ. لها سبعَةُ أبوابٍ لكُلِّ بابٍ منهُم جُزْءٌ مَقسومٌ﴾ [الحجر: ٤١ ـ ٤٤].

هذا صراط، وناموس، وسنة، وسبيل الذي ارتضاه الله، ولن تجد له تحويلاً، أو بديلاً، أو تبديلاً... إن عباد الله المخلصين ليس لك عليهم سلطان، أو تأثير، ولا تملك أن تزيِّن لهم، لأنك محجوب عنهم، وهم منك في حمى منيع، ولأن مداخلك إلى نفوسهم مغلقة، وهم يتوجهون إلى الله آناء الليل وأطراف النهار... إنما سلطانك على أتباعك الغاوين الضالين، فهو استثناء مقطوع، لأن الغاوين ليسوا من عباد الله المخلصين.

وإن الشيطان لا يقتنص إلا العجاف الذين انقطعوا عن قافلة المخلصين، كما ينقض الذئب على القاصية من القطيع، فأما الذين

أخلصوا دينهم لله، فلا يتركهم مولاهم الحق للضياع، فإن رحمته أوسع، ولو تخلفوا فإنهم يثوبون من قريب، كما أخبر عنهم ربهم في صريح القرآن الكريم.

﴿إنَّ الذينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُم طائِفٌ مِن الشَّيْطانِ تذَكَّروا فإذا هُم مُبْصِرونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

إن مس الشيطان يعمي ويطمس ويغلق البصيرة، ولكن تقوى الله ومراقبته وخشيته تصل القلوب بالله، وتوقظها من الغفلة عن هداه، وتذكر المتقين، فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم، وانقشعت الغشاوة عن أبصارهم، فإذا هم مبصرون.

إن مس الشيطان عمى، وإن تذكر الله إبصار. إن مس الشيطان ظلمة، والاتجاه إلى الله نور يجلو تلبيس الشيطان، فما للشيطان على المتقين من سلطان.



* الفصل الرابع :

الجماعـــــة

حرص الإسلام على الجماعة بأشكالها جميعاً؛ لأنها منفرة للشيطان.

(١ ـ ٤) صلاة الجماعة :

قال ﷺ :

«ما من ثلاثة في قرية ولا بدوٍ، لا تقام فيهم الصلاة، إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة؛ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[٨].

(٢ ـ ٤) الجماعة في السفر:

قال ﷺ :

«الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب»[٩].

---

(٨) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٢ / ١٠٦ ، ١٠٧)، وأحمد (٥ / ١٩٦)، وغيرهم.
قلت: وإسناده حسن.

(٩) أخرجه أبو داود (٢٦٠٧)، والحاكم (٢ / ١٠٢)، والبيهقي (٥ / ٢٦٧)، =

(٣ ـ ٤) الاجتماع في المجلس:

عن أبي ثعلبة الخشني، قال:

كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ:

«إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان».

فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم[١٠].

فيا أيها المسلمون، إذا كان هذا التفرق في الأمور العادية من صنع إبليس وحزبه، فما بالكم بالتفرق في الدين، وفي أصله كالتوحيد، وفي أعظم أركانه العملية كالصلاة، أفليس ذلك من عمل الشيطان؟ بلى وربي، فيا ليت قومي يعلمون.



وأحمد (٢ / ١٨٦، ٢١٤)، من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، مرفوعاً.

قلت: وإسناده حسن.

(١٠) أخرجه أبو داود، وابن حبان (١٦٦٤ ـ موارد)، والحاكم (٢ / ١١٥)، ومن طريقه البيهقي (٩ / ١٥٢)، وأحمد (٤ / ١٩٣)، من طريق الوليد بن مسلم: حدثنا عبدالله ـ يعني ابن زبر ـ أنه سمع ابن مشكم يقول: حدثنا أبو ثعلبة الخشني: وذكره.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالا.

* الفصل الخامس:

الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم

واعلم أيها العبد الفارُّ من كيد الشيطان إلى حمى الرحمٰن: أن الاستعاذة هي الامتناع بالله، والاعتصام به، واللجوء إليه.

وقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة من الشيطان عند أمور كثيرة. وهذا لشدة الحاجة إلى التعوذ منه.

(١ ـ ٥) عند تلاوة القرآن:

قال تعالى:

﴿فإذا قَرَأْتَ القُرْآنَ فاسْتَعِذْ بالله مِن الشيطانِ الرَّجيمِ﴾ [النحل ٩٨].

والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، تمهيد للجو الذي يُتلى فيه كتاب الله، وتطهير له من الوسوسة، واتجاه بالقلب إلى الله، مخلصاً لا يشغله شاغل من عالم الرجس والشر، الذي مادته الشيطان اللعين.

وفي ذلك وجوه منها:

أ ـ أن القرآن شفاء لما في الصدور، يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من وساوس وشهوات:

فهـو دواء لهـذا الـداء، فأمر الله سبحانه أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب، ليصادف الدواء محلاً خالياً، فيتمكَّن منه، ويؤثر فيه، كما قيل:

أتَـانِي هَواهَـا قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الهَوى
فصـادَفَ قَلْبـاً خالِـياً فتَـمَـكَّـنـا

ب ـ أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات:

والشيطان يحـرق هذا الزرع قبل أن يخرجَ شطأه، فيستغلظ، ويستوي على سوقه، فأمر الله أن يستعيذ العبد به، لئلا يفسد الشيطان ما يحصل له بالقرآن.

واعلم أيها العبد: أن بين الوجه الأول والثاني فرق لطيف، لا يدركه إلا من صفت نفسه، وأشرقت بنور ربها، فالأول لأجل حصول فائدة القرآن، والثاني لأجل بقائها، والحفاظ عليها، وثباتها، حتى يثبت أصلها، ويعلو فرعها، فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ت ـ أن الملائكة تدنو من قارىء القرآن، وتستمع لتلاوته، لقوله ﷺ:

«ومـا اجتمـع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتـاب الله، ويتـدارسـونـه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينـة، وغشيتهم الـرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(١١).

---

(١١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

والشيطان ضد الملائكة، وعدوُّها، فأُمر القارىء أن يطلب من الله تعالى مباعدة عدوه عنه، حتى تحضره الملائكة، فإن هذا مقام لا يجتمع فيه الملائكة والشياطين.

ث ـ أن الشيطان يجلب على القارىء بخيله ورجله، حتى يشغله عن مقصود القرآن ومراد الرحمٰن، فيحرص بكيده على أن يحول بين المرء وقلبه، فلا يكتمل انتفاع القارىء بكلام الله:

وقد أخبر الله سبحانه أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنَّى ألقى الشيطانُ في أمنيته:

﴿ومَا أَرْسَلْنا مِن قبلِكَ مِن رَسولٍ ولا نَبِيٍّ إلا إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشيطانُ في أمْنِيَّتِه فيَنْسَخُ الله ما يُلْقي الشيطانُ ثم يُحْكِمُ الله آياتِه والله عَليمٌ حَكيمٌ . ليَجْعَلَ ما يُلقي الشيطانُ فتنةً للذينَ في قُلوبِهم مَرضٌ والقاسيةِ قلوبُهُم وإنَّ الظالِمينَ لَفي شِقاقٍ بَعيدٍ . ولِيَعْلَمَ الذينَ أُوتوا العلْمَ أنَّه الحقُّ مِن ربِّك فيُؤمِنوا بِهِ فتُخْبِتَ لهُ قُلوبُهم وإنَّ الله لهادِ الذين آمَنوا إلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٤].

أحسن ما نقل في تفسير هذه الآيات أن ﴿تَمَنَّى﴾ من «الأمنية» وهي التلاوة، كما قال الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

تَمَنَّى كتابَ الله أوَّلَ ليلةٍ
وآخِرَها لاقَى حِمامَ المَقادِرِ

فيكون المراد: إذا تلا، ألقى الشيطان في تلاوته ما يفتن به الذين في قلوبهم مرض، وهذا هو قول أكثر المفسرين والمحققين، كما حكاه

عنهم ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم»، بل هو قول السلف الصالحين كما عزاه إليهم ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (١ / ٩٣)[١٢].

فإذا كان هذا فعله مع الرسل والأنبياء ﷺ فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلط القارىء تارة، ويخلط عليه القراءة ويشوشها، فيخبط عليه لسانه، فإذا حضر عند التلاوة لم يعدم منه القارىء هذا أو هذا، وربما جمع بينهما له؛ فكان من أهم الأمور الاستعاذة به.

جـ ـ أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهُمُّ بالخير، أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه:

عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ، فسمعناه يقول:

«أعوذ بالله منك». ثم قال: «ألعنك بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً.

فلما فرغ من الصلاة، قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في

(١٢) ولقد دس الطاعنون في الإسلام روايات حول هذه الآيات، مما لا يليق بمقام النبوة، وعصمة الرسالة، فذكروا قصة الغرانيق التي أولع بها المستشرقون، وأذاعوا بها، وأثاروا حولها عجاجة من القول، والأمر كله لا يثبت للمناقشة، لأنه لا يصح سنداً ولا متناً.

وقد تصدى عدول الأمة ـ جزاهم الله خيراً ـ لهذه الشبهات، فدحضوها، وأصابوا منها مقتلاً.

وقد جمع شتات ذلك شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ في رسالته الطيبة الموسومة بـ «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».

الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، رأيناك بسطت يدك.

قال: «إن عدو الله إبليس، جاء بشهاب من نار، ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك؛ ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أن آخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة»(١٣).

وقال ﷺ:

«إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلمُ وتَذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟! فعصاه، فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر، وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّول؟! فعصاه، وهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد، فهو جهد النفس والمال، فتقاتل، فتقتل، فتُنْكح المرأة، ويُقسم المال؟! فعصاه، فجاهد. فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة»(١٤).

فانظر أيها العبد، فإن الشيطان بالرصيد لك، على طريق كل

---

(١٣) أخرجه مسلم (٥ / ٣٠ ـ نووي).

(١٤) أخرجه أحمد (٣ / ٤٨٣)، وابن حبان (٧٥٧٤)، وغيرهما من حديث سبرة بن أبي فاكه ـ رضي الله عنهم.
قلت: وهو صحيح.

خير، ففر إلى ربك مستعيذاً به من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس.

(٢ ـ ٥) عند السِّحر:

قال تعالى:

﴿قُلْ أعوذُ بربِّ الفَلَقِ . مِن شَرِّ ما خَلَقَ . ومِن شرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ . ومِن شَرِّ النَّفَّاثاتِ في العُقَدِ . ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق].

(٣ ـ ٥) عند دخول المساجد:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال:

«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم».

قال: **«فإذا قلت ذلك، قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم»**[١٥].

(٤ ـ ٥) عند الوسوسة في الصلاة:

عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ **فقال**: يا رسول الله: إن الشيطان قعد بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي.

فقال رسول الله ﷺ:

---

(١٥) أخرجه أبو داود (٤٦٦) بإسناد صحيح.

«**ذاك شيطان يُقال له خِنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه. واتفل على يسارك ثلاثاً**».

قال: فقلت ذلك، فأذهبه الله عني[16].

(٥ ـ ٥) عند الغضب:

عن سليمان بن صرد، قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ، ورجلان يستبَّان، فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ:

«**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد**».

فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: «تعوَّذ بالله من الشيطان».

فقال: وهل بي جنون[17]؟!

عند الغضب ينزغ الشيطان في النفس وهي ثائرة فاقدة الزمام، فيلقي في الروع قلة الصبر على الإساءة، أو ضيق الصدر عن السماحة، فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم حينئذٍ وقاية تدفع محاولاته لاستغلال الغضب، والنفاذ من ثغرته، لذا يأمره ربه أن يستعيذ بالله ليسكت عنه الغضب، ويأخذ على الشيطان طريقه.

قال تعالى:

---

(١٦) أخرجه مسلم (١٤ / ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ نووي).

(١٧) أخرجه البخاري (٣٢٨٢ و٦٠٤٨ و٦١١٥ ـ الفتح)، ومسلم (١٦ / ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ نووي).

وإمّا يَنْزَغَنَّك مِن الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بالله إنَّه سميعٌ عليمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال جلَّ ثناؤه:

﴿وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِن الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ بالله إنَه هو السميعُ العليمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

إن خالق هذا القلب يعلم مداخله ومساربه، ويقدر طاقته واستعداده، يحوط قلب المسلم من نزعات الغضب ونزغات الشيطان مما يلقاه في طريقه، مما يثير غضب الحليم، فما أجدر المسلم أن يتّبع هذا التوجيه الرباني العليم.

وحسبُك أيها العبد الطائع اللهُ، فإنه سميع عليم، وهو السميع العليم، سميع لجهل الجاهلين وسفاهتهم، عليم بما تحمله نفسك من أذاهم... وفي هذا ترضية للقلب، وتسرية للنفس... فحسبهما أن السميع العليم يسمع ويعلم... وماذا تبتغي أيها المسلم بعدما يسمع الله ويعلم ما تلقى من السفاهة والجهل، فأعرض عن الجاهلين.

ومن تأمل هذا المقام في الكلام الرباني، وجد لطائف عجيبة، ففي سورة فصلت، أكد الكلام بأن وبضمير الفصل، وأتى باللام في ﴿السميع العليم﴾، وفي الأعراف: ﴿إنه سميع عليم﴾.

وسر ذلك ـ والله أعلم ـ أنه حيث اقتصر على مجرد الاسم ولم يؤكده أريد إثبات مجرد الوصف الكافي في الاستعاذة، والإخبار بأنه سبحانه وتعالي يسمع ويعلم، فيسمع استعاذتك، فيجيبك، ويعلم ما

تستعيذ منه، فيدفعه عنك، فالسمع لكلام المستعيذ، والعلم بالفعل المستعاذ منه، وبذلك يحصل مقصود الاستعاذة، وهذا المعنى يشمل الموضعين.

وامتـاز المـذكـور في سورة فصلت بمـزيد التـأكيد التعـريف والتخصيص؛ لأن السياق جاء بعـد إنكار الله ـ سبحانه ـ على الذين شكوا في سمع الله لقولهم، وعلمه بحالهم؛ فجاء التوكيد في قوله: ﴿إنه هو السميع العليم﴾ في سياق هذا الإنكار: أي هو وحده الذي له كمال السمع، وإحاطة العلم، لا كما تظنون أيها الجاهلون، فالسياق في سورة فصلت لإثبات صفات كماله، وأدلة ثبوتها، وآيات ربوبيته، وشـواهد توحيده، كما جاء في اللحاق، فأتى بصيغة التعريف الدالة على أن من أسمائه السميع العليم، كما جاءت الأسماء الحسنى كلها معرفة.

والذي في سورة الأعراف في سياق وعيد المشركين وإخوانهم من الشياطين، ووعـد المستعيذ بأن له ربـاً يسمـع ويعلم، بينمـا آلهـة المشركين التي اتخذوها لتقربهم إلى الله زلفى، لا تسمع ولا تعلم، فعلمت أنـه لا يليق بهذا السياق غير التنكير، كما لا يليق بذاك غير التعريف، والله أعلم بأسرار كلامه.

(٦ ـ ٥) عند رؤية الإنسان في المنام ما يكره:

قال رسول الله ﷺ:

«الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به

إلا من يحب، وإذا رأى ما يكـره، **فليتعـوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لا تضره»**[18].

(٧ ـ ٥) عند العين والحسد:

عن ابن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ يعوّذ الحسن والحسين، يقول:

«إن أباكما كان يعوذ إسماعيل وإسحاق، **أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»**[19].

(٨ ـ ٥) عند الجدل والمراء:

إن الإنسـان ينسى نفسـه في أوقـات كثيرة، ينسى أنه مخلوق ضعيف، لا يقوم بذاته، ثم يروح ينتفخ، ويورم، ويتشامخ، ويتعالى. يحيك في صدره الكبر، يستمده من الشيطان الذي هلك بالكبر، ثم سلط على بني آدم، فأتاه من قِبَله.

لذلك تراه يجادل في آيات الله، ويكابر، وهي ظاهرة ناطقة معبرة للفطرة بلسانها، وهو يزعم أنه يناقش؛ لأنه لم يقتنع، ويجادل؛ لأنه غير مستيقن.

ويا ليتـه كان جدالاً عن علم ومعرفة ويقين، ولكنه جدال بغير علم، جدال التطاول المجرد عن الدليل، جدال الضلال الناشىء عن

---

(١٨) أخـرجـه البخاري (٧٠٤٤ ـ الفتح)، ومسلم (١٥ / ١٩ ـ ٢٠ ـ نووي) من حديث أبي قتادة ـ رضي الله عنه.

(١٩) أخرجه البخاري (٣٣٧١ ـ الفتح).

اتباع الشيطان.

قال تعالى:

﴿ومِن النَّاسِ مَن يُجادِلُ في الله بغيرِ علمٍ ويَتَّبِعُ كُلَّ شيطانٍ مَريدٍ. كُتِبَ عليهِ أنَّه مَن تَوَلَّاهُ فأنَّه يُضلُّهُ ويهديهِ إلى عذابِ السعيرِ﴾ [الحج: ٣ - ٤].

والله البصير بعباده، يقرر أنه الكبر، والكبر وحده، هو الذي يحيك في الصدر، ويدعو صاحبه إلى الجدال فيما لا جدال فيه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، الكبر والتعالي إلى ما هو أكبر من حقيقته، ومحاولة أخذ مكان أكبر من حجمه، ولا تؤهله له حقيقته، وليست له بينة يجادل بها، ولا برهان يصدع به، ولا حجة يتوكأ عليها، إنما هو الكبر وحده.

قال تعالى:

﴿إنَّ الذينَ يُجادِلونَ في آياتِ الله بغيرِ سُلطانٍ أتاهُم إنْ في صُدورِهِم إلا كبرٌ ما هُم ببالغيهِ فاستَعِذْ بالله إنَّه هو السميعُ البصيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

فكان لزاماً أن يلجأ العبد إلى الله، مستعيذاً به، في مواجهة الكبر الذي لا يقوم على معرفة، ولا يستمد من كتاب ينير القلب والعقل، ويوضح الحق، ويهدي إلى اليقين، لذلك فهو يعوض عن هذا بالعجرفة والصلف، فتراه مائلاً مزوراً بجنبه، متبجحاً بضلاله.

قال تعالى:

﴿ومِن الناسِ مَن يجادِلُ في الله بغيرِ علمٍ ولا هدىً ولا كتابٍ مُنيرٍ . ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عن سبيلِ الله لهُ في الدنيا خِزْيٌ ونُذيقُه يومَ القِيامَـةِ عذابَ الحريقِ . ذٰلك بِما قَدَّمت يداكَ وأنَّ الله ليسَ بظَلَّامٍ للعبيدِ﴾ [الحج : ٨ ـ ١٠].

هذا الكبر الضال المضل، لا بد أن يقمع، ولا بد أن يحطم. فالخـزي هو المقـابـل للكبـر، والله لن يدع المتكبـرين المتعجرفين الضـالين المضلين حتى يحـطم تلك الكبـرياء الـزائفـة، وينكسها، ويركسها في الحمأة الوبيئة.

وفي الكبـر هذا كِلّه، وهـو يتعب صاحبـه، ويتعب الناس من حوله، وهو يؤذي الصدر الذي يحيك به، فهو شر يستحق الاستعاذة بالله منه.



* الفصل السادس:

البسملة

البسملة مشتقه من «بسم»، ومن «الله»، فـ «بسم» ملفوظ به، واللام من «الله» جل ذكره، وهي لغة العرب، تقول: بسمل الرجل، إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، وحوقل الرجل وحولق، إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهلّل الرجل، إذا قال: لا إله إلا الله، وهو كثير.

وقد فعلوا ذلك في النسب، فقالوا في «عبدالدار»: عَبْدَريّ، وفي «عبدالقيس»: عَبْقَسِيّ. وفي «عبدالشمس»: عَبْشَميّ.

واعلم أخا الإيمان أن البدء بـ «بسم الله» هو الأدب الذي أوحى الله لنبيه ﷺ في أول ما نزل من القرآن باتفاق، وهو قوله تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

فباسم الله ـ سبحانه ـ يكون كل ابتداء، وباسمه يكون كل اتجاه، وكل حركة.

وهذا الأدب يتفق مع قاعدة الدين الحنيف، من التعلق بالله وحده، والتبرك باسمه عمن سواه، وحصر التعظيم والتبجيل لجنابه جل جلاله، دون التفات إلى ما سواه، بشيء من ذلك، فلا يجوز بعد هذا

التعليم الـربـاني، أن يبدأ بغير اسم الله تعالى في أي أمر، لا باسم السلطان، ولا باسم الأمير، ولا باسم الملك، ولا باسم الرئيس، ولا باسم الـوطن، ولا باسم الشعب، ولا باسم الثـورة، ونحـو ذلك من عادات المتعلقين بالأشخاص المقدسين للمادة والأوطان، إذ الله رب كل شيء، وفـاطر كل شيء، والمهيمن على كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله.

ولـــذلـك؛ من تعلق بالله في كل شيء، تنحى عنـه الشيطان صاغراً، ولذلك حثَّ الشارع الحكيم على البسملة في أمور عدة لقهر الشيطان، منها:

(١ ـ ٦) إذا عثرت الدابة:

عن أبي المليح، عن رجل قال: كنت رديفَ النبي ﷺ، فعثرت دابته، فقلت: تعس الشيطان.

فقال:

«لا تقل تعس الشيطانُ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظَم حتى يصير مثلَ البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك، تصاغر، حتى يكون مثل الذباب»[٢٠].

(٢٠) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٤، ٥٥٦) من طريق خالد الحذاء، عن أبي تميمة، به.

قلت: وهذا إسناد صحيح، وجهالة الصحابي لا تضر.

وقـد وقـع اختـلاف في السند، لكنه لا يضر كما فصلته في «صحيح الوابل الصيب»، وسيصدر قريباً ـ إن شاء الله ـ عن مكتبة ابن الجوزي.

(٢ ـ ٦) عند الخروج من البيت:

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قالَ ـ يعني: إذا خرج من بيته ـ: **بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**، يقال له: هديت، وكفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول شيطان لآخر: كيف لك برجل قد هُديَ، وكُفِي، ووُقِي»[٢١].

(٣ ـ ٦) عند الجماع:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال:

«أما إن أحدكم إذا أتى أهله، وقال: **بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**، فرزقا ولداً، لم يضره الشيطان»[٢٢].



(٢١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وابن حبان (٢٣٧٠) من طريق ابن جريج، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عنه، به.
قلت: وهذا إسناد صحيح، وقد صرح ابن جريج بالتحديث عند ابن حبان

(٢٢) أخرجه البخاري (١٤١، ٣٢٧١، ٣٢٨٣، ٥١٦٥، ٧٣٩٦ ـ الفتح).

* الفصل السابع :

قراءة القرآن

اعلم أيها العبد الطائع : أن قراءة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار تطرد الشيطان .

عن أبي قتادة أن النبي ﷺ خرج ليلة ، فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يصلي ، يخفض صوته ، قال : ومر بعمر بن الخطاب ، وهو يصلي رافعاً صوته ، فلما اجتمعا عند النبي ﷺ ، قال النبي ﷺ :

«يا أبا بكر، مررت بك وأنت تصلي ، تخفض من صوتك» .

قال : أسمعتُ من ناجيتُ يا رسولَ الله .

وقال لعمر: «مررتُ بك وأنت تصلي رافعاً صوتَك»

فقال : يا رسولِ الله ، أوقظ الوَسْنان ، **وأطرد الشيطان** .

فقال النبي ﷺ :

«يا أبا بكر، ارفع من صوتك شيئاً ، ويا عمر، اخفض من صوتك شيئاً»[٢٣] .

---

(٢٣) أخرجه أبو داود (١٣٢٩). والبيهقي (٣ / ١١)، وابن حبان (٢ / ٥٧)، =

وقد خصَّ الشارع الحكيم بعض السور والآيات في هذا الباب.

منها:

(١ - ٧) سورة البقرة:

قال رسول الله ﷺ:

«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[٢٤].

(٢ - ٧) آية الكرسي:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ.

قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة.

قال: فخليت عنه، فأصبحت.

= والحاكم (١ / ٣١٠).

من طريق يحيى بن إسحاق السليحيني، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبدالله بن رباح، عنه، به.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالا.

وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أخرجه أحمد (١ / ١٠٩).

(٢٤) أخرجه مسلم (٦ / ٦٨ - نووي).

فقال النبي ﷺ :

«يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة»؟

قال : قلت : يا رسول الله ، شكا حاجة شديدة ، وعيالاً ، فرحمته ، فخليت سبيله .

قال :

«أما إنه قد كذبك ، وسيعود» .

فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ : «إنه سيعود» ، فرصدته ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ .

قال : دعني ، فإني محتاج ، وعليّ عيال ، لا أعود .

فرحمته ، فخليت سبيله ، فأصبحت .

فقال رسول الله ﷺ :

«يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك ؟» .

قلت : يا رسول الله ، شكا حاجة شديدة ، وعيالاً ، فرحمته ، وخليت سبيله .

قال :

«أما إنه كذبك ، وسيعود» .

فرصدته الثالثة ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم لا تعود ، ثم تعود .

قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها.

قلت: ما هن؟

قال: **إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي ﴿الله لا إلٰهَ إلا هو الحيُّ القيُّومُ﴾، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان، حتى تصبح.**

فخليت سبيله، فأصبحت.

فقال لي رسول الله ﷺ:

«ما فعل أسيرك البارحة؟».

قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات، ينفعني الله بها، فخليت سبيله.

قال:

«ما هي؟».

قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي، من أولها حتى تختم الآية ﴿الله لا إلٰهَ إلا هو الحَيُّ القيُّومُ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. ـ وكانوا أحرص شيء على الخير.

فقال النبي ﷺ:

«أما إنه قد صدقك، وهو كذوب، تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟».

قال: لا.

قال:

«ذاك شيطان»[٢٥].



(٢٥) أخرجه البخاري (٢٣١١، ٣٢٧٥، ٥٠١٠ ـ الفتح) تعليقا، ووصله غيره كما بينه الحافظ في «الفتح».

* الفصل الثامن :

سجود التلاوة

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ :

«**إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد، اعتزل الشيطان يبكي،** يقول: يا ويله، أُمِر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأُمرت بالسجود، فأبيت، فلي النار»(٢٦).



(٢٦) أخرجه مسلم (٢ / ٦٨ ـ نووي).

* الفصل التاسع:

الأذان والإقامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ:

«إذا نُودي بالصلاة، أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي، اقبل، فإذا ثُوِّب بها أدبر، فإذا قُضي أقبل، حتى يخطر بين الإنسان وقلبه، فيقول: اذكر كذا، وكذا، حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً، فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً، سجد سجدتي السهو»[٢٧].

قلت: لقد فهم السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ أن الأذان يشرع لطرد الشيطان في أي وقت من الأوقات، ولغير وقت الصلاة.

عن سهيل قال:

أرسلني أبي إلى بني حارثة، قال: ومعي غلام لنا، أو صاحب لنا، فناداه مناد من حائط باسمه، قال: وأشرف الذي معي على الحائط، فلم ير شيئاً، فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو شعرت أنك تلقى

(٢٧) أخرجه البخاري (٦٠٨، ١٢٢٢، ١٢٣١، ٣٢٨٥ ـ الفتح)، ومسلم (٤ / ٩١ ـ نووي).

هذا، لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتاً، فناد بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولَّى وله حصاص»[٢٨].



---

(٢٨) أخرجه مسلم (٤ / ٩٠ - ٩١ - نووي).

* الفصل العاشر:

تسوية الصفوف في الصلاة

استفاضت الأحاديث الصحيحة الصريحة في الأمر بإقامة الصفوف، وتسويتها، وبيان أهميتها في التأليف بين قلوب المسلمين؛ لأنها مقمعة للشياطين.

وربما لا تخفى هذه الأحاديث على كثير من الناس، ولكنهم عن أهميتها غافلون، ولذلك فإني أذكر هنا الأحاديث الصريحة، في بيان أهمية هذه الشعيرة، في دحر الشيطان، ورد كيده.

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال:

أقبل رسول الله ﷺ على الناس بوجهه، فقال:

«أقيموا صفوفكم؛ ثلاثاً، والله لَتُقِيْمُنَّ صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم».

قال:

«فرأيت الرجل يلصق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركبة صاحبه، وكعبه بكعبه»(٢٩).

---

(٢٩) أخرجه أبو داود (٦٦٢)، وابن حبان (٣٩٦)، وأحمد (٤ / ٢٧٦)، وغيرهم. =

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:

«رصُّوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفسي بيده، **إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف، كأنها الخذف**»[30].

من هذين الحديثين يتضح أن الشيطان يدخل من فرجات الصفوف وخللها، فيحول بين المرء وأخيه، فيباعد بينهما، مما يؤدي إلى اختلاف قلوبهم.

ولذلك أمر الشارع الحكيم بإقامة الصفوف، وتسويتها، وسد الخلل، كيلا تبقى فرجات ينفذ منها الشيطان، فعلم أن تسوية الصفوف تضيق الخناق على الشيطان، وتقمع آماله في الإفساد والتحريش بين المصلين.

فيا أيها المصلون، اعملوا بهذه السنة، واحرصوا عليها، وادعوا إليها، حتى يجتمع الناس عليها، فينجو من التهديد والوعيد «أو ليخالفن الله بين قلوبكم».

واعلموا أن تسوية الصفوف لا تتم إلا بالمناكب والأقدام، كالحروف يتلو بعضها بعضاً، ويتسق أخراها على أولاها، رصفاً ونظماً، فتلتحم الأجساد، وتتحاب القلوب في الله، وعلى منهج الله.



= قلت: وإسناده صحيح.

(٣٠) أخرجه أبو داود (٦٦٧)، وأحمد (٣ / ٢٦٠)، وغيرهما.

قلت وسنده صحيح.

* الفصل الحادي عشر:

سجود السهو

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ.

«إذا شكَّ أحدكم في صلاته، فلم يدر كم صلى ثلاثاً أم أربعاً؟ فليطرح الشـك، وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماماً لأربع كانتا **ترغيماً للشيطان**»[٣١].



(٣١) أخرجه مسلم (٥ / ٦٠ - نووي).

* الفصل الثاني عشر:

الإشارة بالسبابة في التشهد

عن نافع قال: كان عبدالله بن عمر إذا جلس في الصلاة، وضع يديه على ركبتيه، وأشار بأصبعه، وأتبعها بصره، ثم قال: قال رسول الله ﷺ:

«لهي أشد على الشيطان من الحديد». يعني السبابة(٣٢).

واعلم أخا الإيمان أن السنة في الإشارة تحريك السبابة في

---

(٣٢) أخرجه أحمد (٢ / ١١٩)، والبزار (١ / ٢٧٢)، من طريق أبي أحمد، عن كثير بن زيد، عنه، به.

قلت: إسناده حسن رجاله ثقات، غير كثير بن زيد، فإنه صدوق كما يلاحظ من طالع ترجمته في التهذيب، فقد وثقه ابن عمار الموصلي، وابن حبان، وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين. وقال أبو حاتم: صالح، ليس بالقوي.

ومن عرف تساهل ابن حبان، وتشدد أبي زرعة وأبي حاتم، علم أن كثيراً صدوق ولا ريب.

وقد روى عنه جماعة من الثقات الأثبات.

وقد أغرب الهيثمي في «المجمع» (٢ / ١٤٠)، فقال: وثقه ابن حبان، وضعفه غيره.

التشهد كله، لحديث وائل بن حجر ـ رضي الله عنه:

«... ثم قبض بين أصابعه، فحلق حلقة، ثم رفع أصبعه، فرأيته يحركها يدعو بها، ثم جئت بعد ذلك في زمان برد، فرأيت الناس عليهم الثياب تحرك أيديهم من تحت الثياب من البرد»[٣٣].

أما حديث عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ أنه ذكر أن النبي ﷺ كان يشير بأصبعه إذا دعا ولا يحركها. فلا يصح[٣٤].

---

(٣٣) أخرجه أبو داود (٧٢٧)، والنسائي (٢ / ٢٣٦)، والدارمي (١ / ٣١٤ - ٣١٥)، وابن الجارود في «المنتقى» (٢٠٨)، وابن خزيمة (٧١٤)، وغيرهم.
قلت: وإسناده صحيح.

(٣٤) أخرجه أبو داود (٩٨٩)، والبيهقي (٢ / ١٣١) من طريق ابن جريج، عن زياد، عن محمد بن عجلان، عن عامر بن عبدالله، عنه.
قلت: وهو ضعيف لشذوذه، والاختلاف فيه، وإليك البيان:
١ ـ الاختلاف فيه على ابن عجلان:
أخرجه البيهقي (٢ / ١٣١) من طريق الليث، وأبي خالد الأحمر: ثنا ابن عجلان، به. ولم يذكرا عدم التحريك.
بينما راوي عدم التحريك هو زياد بن سعد.
قلت: الليث بن سعد ثقة ثبت، وأبو خالد الأحمر ـ وهو سليمان بن حيان ـ صدوق يخطىء، بينما زياد بن سعد ثقة ثبت.
٢ ـ مخالفة ابن عجلان لعثمان بن حكيم.
أخرجه البيهقي (٢ / ١٣١) من طريق عثمان بن حكيم، عن عامر بن عبدالله، عنه. ولم يذكر عدم التحريك.
قلت: وعثمان بن حكيم ثقة، بينما ابن عجلان متوسط الحفظ، فلا شك في شذوذ رواية ابن عجلان، والله أعلم. =

. . . .

= ٣ ـ مخالفة ابن عجلان لعاصم بن كليب، عن أبيه، عن وائل ابن حجر:

قلت: راوي حديث وائل بن حجر هو عاصم بن كليب، وهو أوثق من محمد بن عجلان، كما يظهر من ترجمتهما في «التهذيب».

وبذلكً يثبت ضعف رواية ابن عجلان لشذوذها والله أعلم.

وأما من الناحية الأصولية، فإن حديث وائل بن حجر مثبت. وحديث عبدالله بن الزبير ناف، والمثبت مقدم على النافي، لأنه عنده زيادة علم. ومن علم حجة على من لم يعلم.

وبهذه السنة قال الإمام مالك، كما في «الرسالة» لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ص١٢٢)، وبها أخذ الإمام أحمد كما في «مسائل الإمام أحمد» رواية ابن هانىء (١ / ٨٠)، وغيرهم من أهل العلم.

وبهذا تثبت هذه السنة، رغم شنشنة بعض الموتورين، وجهل بعض الناشئة الذين لم يهضموا علم الحديث، ظناً منهم أنه ينال بقراءة سريعة لبعض كتب المصطلح وعلم الرجال.

ولله در الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ القائل في «تذكرة الحفاظ» في ثنايا ترجمة الصديق الأكبر ـ رضي الله عنه ـ (١ / ٤):

«فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما ذي إلا بلية عظيمة، وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب، فحق على المحدث أن يتورع في ما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع، ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذاً إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة، والسهر والتيقظ، والفهم مع التقوى والدين المتين، والإنصاف، والتردد إلى مجالس العلماء، والتحري، والإتقان، وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد =

. . . .



= قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾. فإن آنست يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً وديناً وورعاً، وإلا فلا تتعن، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب، فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج، وينكب الزغل، ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله، فقد نصحتك، فعلم الحديث صلف، فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب» أ. هـ. بحروفه.

* الفصل الثالث عشر:

ذكر الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، **وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي**، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»[٣٥].



(٣٥) أخرجه البخاري (٣٢٩٣، ٦٤٨٣ ـ الفتح)، ومسلم (١٧ / ١٧ ـ نووي).

* الفصل الرابع عشر:

معرفة الأوقات التي تحبس فيها الشياطين

إذا عرف المسلم الأوقات التي تحبس فيها الشياطين، فلا تخْلُصُ لبني آدم بالوسوسة والإغواء والتزيين، واستغلها في طاعة الله، فإنها تكون له عدة واستعداداً، لباقي الأوقات، ومن هذه الأوقات شهر رمضان المبارك.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا دخل شهر رمضان، فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»(٣٦).



(٣٦) أخرجه البخاري (١٨٩٩ و ٣٢٧٧ ـ الفتح)، ومسلم (٧ / ١٨٧ ـ نووي).

* الفصل الخامس عشر:

معرفة الأوقات التي تنتشر فيها الشياطين

هناك أوقات يزيد فيها نشاط الشيطان، وتكثر فيها الشياطين، وقد أشار الشارع الحكيم إليها، ليحبس المسلم نفسه وأهله، فينجو من كيد الشيطان.

منها:

(١ ـ ١٥) القيلولة:

قال ﷺ:

«قيلوا، فإن الشياطين لا تقيل»[٣٧].

(٢ ـ ١٥) فوعة العشاء:

قال ﷺ:

«احبسوا صبيانكم، حتى تذهب فوعة العشاء، فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين»[٣٨].

---

(٣٧) حسن، كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٦٤٧) لشيخنا ـ حفظه الله

(٣٨) أخرجه الحاكم (٤ / ٢٨٤)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي
قلت: وهو كما قالا.

الخاتمة

«رزقنا الله الحسنى وزيادة»

اعلم أخا الإيمان، أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يجعل للشيطان على العبد سلطاناً، حتى جعل له العبد سبيلاً إليه، بطاعته، والشرك به، فجعل الله له حينئذ عليه تسلطاً وقهراً، فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه.

والجميع بقضاء من أزمة الأمور بيده، ومردها إليه، وله الحجة البالغة، فلو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولكن أبت حكمته وملكه إلا ذلك، ﴿فللهِ الحمدُ ربِّ السماواتِ وربِّ الأرضِ ربِّ العالَمينَ . وله الكِبْرياءُ في السَّماواتِ والأرضِ وهو العَزيزُ الحكيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦ ـ ٣٧].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

□□□

فهرست المواضيع والفوائد

المقدمة ٥
* الفصل الأول: معرفة خطوات الشيطان ٩
(١ ـ ١) النسيان ٩
(٢ ـ ١) الاستدراج ١٠
(٣ ـ ١) الوسوسة ١٠
(٤ ـ ١) التسويف ١٦
(٥ ـ ١) الأمر بالمعصية ١٦
(٦ ـ ١) الأز ١٦
(٧ ـ ١) الحيرة ١٦
(٨ ـ ١) التبرؤ والشماتة ١٧
* الفصل الثاني: معرفة وسائل الشيطان ١٩
(١ ـ ٢) الجدال والقول على الله بغير علم ١٩
(٢ ـ ٢) التحريش بين المسلمين ٢٢
(٣ ـ ٢) التبذير ٢٤
(٤ ـ ٢) تسمية الأشياء بغير أسمائها ٢٤
(٥ ـ ٢) التعري وكشف العورات ٢٥

(٦ ـ ٢) الغناء ٢٦
(٧ ـ ٢) تغيير خلق الله ٢٨
* الفصل الثالث: الإخلاص ٢٩
* الفصل الرابع: الجماعة ٣٣
(١ ـ ٤) صلاة الجماعة ٣٣
(٢ ـ ٤) الجماعة في السفر ٣٣
(٣ ـ ٤) الاجتماع في المجلس ٣٤
* الفصل الخامس: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ٣٥
(١ ـ ٥) عند تلاوة القرآن ٣٥
(٢ ـ ٥) عند السحر ٤٠
(٣ ـ ٥) عند دخول المسجد ٤٠
(٤ ـ ٥) عند الوسوسة في الصلاة ٤٠
(٥ ـ ٥) عند الغضب ٤١
(٦ ـ ٥) عند رؤية الإنسان في المنام ما يكره ٤٣
(٧ ـ ٥) عند العين والحسد ٤٤
(٨ ـ ٥) عند الجدل والمراء ٤٤
* الفصل السادس: البسملة ٤٧
(١ ـ ٦) إذا عثرت الدابة ٤٨
(٢ ـ ٦) عند الخروج من البيت ٤٩
(٣ ـ ٦) عند الجماع ٤٩
* الفصل السابع: قراءة القرآن ٥١



مقامع الشيطان